مجلة المرابط

العدد : ٢٢٤ الموافق في رمضان ١٤٢١ هجري ١٢ / ٢٠٠٠ ميلادي

عنوان المقال : فلسطيننا .. وواجباتنا نحوها	بقلم : التحرير

عقدت في إطار الندوة الشهرية في المركز الإسلامي في آخن ندوة حوار شارك فيها الأستاذ الدكتور كمال الهلباوي - بريطانيا ، والشيخ محمد التوشجاني - بروكسل ، وأدار الحوار مدير المركز الإسلامي في آخن الدكتور صلاح الدين النكدلي ، ونقدم هنا الخطوط الكبرى لما دار في الندوة .

● **س١** : في عام ١٩٥٣م نشر الشاعر المصري هاشم الرفاعي قصيدته " وصية لاجيء " تحدث فيها عن أب فلسطيني يوصي ولده ، ومما قاله :

سيحدثونك يا بني عن السلامْ إياك أن تصغي إلى هذا الكلامْ
كالطفل يُخدع بالمنى حتى ينامْ لا سِلمَ أو يجلو عن الوجه الرَّغامْ
صدَّقتهم يوماً فآوتني الخيامْ
وغدا طعامي من نوال المحسنينْ يلقى إلي إلى الجياع اللاجئين
فسلامُهم مكرٌ وأمنهم سرابْ نشر الدمار على بلادك والخرابْ

فكلمة " السلام " محببة إلى النفس البشرية السوية ، وهي تستخدم في مأساة فلسطين منذ عشرات السنين .. ولكنها تُحمَّل معاني يراد من خلالها تمرير المشروع الغربي- الصهيوني .. فما هو موقف الإسلام من السلام في ظروف محنة فلسطين ؟

فأجاب الشيخ محمد التوشجاني مركزاً على المعاني الآتية :

◆ من المقرر عند المسلمين أن الإسلام يدعو إلى إقامة العدل ومحاربة الظلم : { **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ** ... } [النحل : ٩٠] .

◆ ومن سنن الله في الحياة البشرية أنه لا بد من إعداد القوة الكافية لردع الظالمين : { **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ** ... } [الأنفال : ٦٠] .

◆ فإذا زال الظلم وتحقق العدل من غير حاجة إلى استخدام القوة ، فهذا ما يدعو إليه الإسلام : {

وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ... } [الأنفال : ٦١] .

◆ فإذا أسقطنا هذه النظرة على فلسطين اليوم ، فإننا ندرك ببساطة أن الإسلام يرفض ما يجري من تحوير وتزوير لمصطلح " السلام " لأنه يرسخ الظلم وينفي العدل ، وعلى المسلم أن يحذر من المصطلحات التي تُحمَّل غير معناها ، فالعبرة للمعاني لا للألفاظ والمباني .

℘ ℘ ℘

● **س٢** : يرى الفكر الإسلامي المعاصر أن مأساة فلسطين إنما صنعها المشروع الأوروبي-الصهيوني ، أو الغربي-الصهيوني ، وهو يرمي إلى خلخلة الأمة وتركيعها واستغلالها ، وأن تراكمات الهزيمة قد ولدت صوراً من الرفض والمقاومة .. بعيداً عن أنظمة الحكم .. ولعل انتفاضة أطفال الحجارة عام ١٩٨٧م توحي بهذا المعنى الدقيق .. الذي عبر عنه الشاعر السعودي عبد الرحمن العشماوي عن لسان طفل فلسطيني :

هذي الحجارةُ يا أبي لغةٌ لنا لما رأينا أننا لا نُنْصَفُ
لما رأينا أن " حاخاماتهم " يتلاعبون بنا فيرضى " الأسقف "
لمـــا رأينـــــا أن أمتنـــــا علـــــى أرض الخـــلاف قطـــارُها مُتـوقّـفُ

فأحيت الانتفاضة آمالاً ، وجددت عزائم .. ولكنها استدعت أيضاً محاولات التطويق والتصفية ..

والسؤال : ماذا يجب على الأمة أن تصنعه .. من وجهة نظر الفكر " الاستراتيجي " كي تحافظ على أهدافها من خلال انتفاضة الأقصى ؟

أجاب الدكتور كمال هلباوي مؤكداً على الآتي :

✧ تقوم " الاستراتيجية " في مثل حالة فلسطين على محورين :

(١) **الإعداد** : البشري الفردي والجماعي ، وحشد الإمكانات .

(٢) **الجهاد** : بمعناه الواسع ، وهو ممارسة المقاومة ورفض الاستسلام .

✧ ويدخل في الإعداد الصناعة التي تحتاج إليها الأمة لمقاومة العدو الغاصب ، فهذا من فروض العين كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية أخذاً من حديث : « **إن الله يدخل في السهم الواحد ثلاثة نفر الجنة ؛ صانعه يحتسب بصنعته الخير ، ورامیه ، والمُمِدُّ له** » . فلما تخلفنا عن الصناعة ، وتخلفنا عن الإمداد ، قام الرامي بالبحث عن سلاح يرمي به .. وكان " الحجارة " .

✧ وما نراه من بطولات يصنعها صبية وشباب ورجال ونساء الانتفاضة .. إنما هو ثمرة جهود كانت تعمل بصمت وإصرار حتى ولدت المواقف داخل قلوب الأجيال .. ولقد قام بدور التربية والإعداد أمهات وآباء ودعاة وداعيات .. رفضوا السير في مسالك الهزيمة .. وجاءت عمليات الإذلال لتشعل الشرارة التي تفرض واقعاً جديداً .

✧ ولا شك في أن انتفاضة الأقصى تزعج مراكز القرار الاستعمارية ، وهم يعملون على تطويقها وضربها ، وأملنا ألا يتمكنوا من ذلك قبل تحقيق أهداف كريمة ترنو إليها قلوب المؤمنين .

✧ ونحن حين ندعو إلى الإعداد والجهاد .. فإننا لا نشجع على العدوان .. لأننا أمة ملتزمة في هذا المجال بقوله تعالى : { ... **وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** } [البقرة : ١٩٠] .

✧ وإذا انطلقنا من البشارات النبوية ، ومن تحليل الواقع المحلي والدولي ، مع استشراف للمستقبل .. فإننا نقول : إن المستقبل لنا ، بشرط أن ندرك أن الأمة التي لا تنتصر في ساحة الشعور فإنها لن تستطيع تحقيق النصر في الواقع .

● **س٣** : عندما كنا صغاراً نُشَنِّئنا على مثل قول الشاعر :

يا فلسطين التي كدنا لما كابدته من أسىً ننسى أسانا
نحن يا أخت على العهد الــذي قد رضعناه من المهد كلانا

إلا أن مثل هذا القول - على وجاهته - يحمل معنى التضامن مع أبناء فلسطين ، ويوحي بأن أساها ليس أسانا ، ويلوح لي أن قول الأستاذ عصام العطار أولى في التعبير عن مأساتنا .. مأساة فلسطين :

تأتي جراحٌ فتثوي في أضالعنا على جراح ولا ننسى فلسطينا

الدينُ يهتف أن هبوا لنصرتها والقدس تهتف لا تلقى المجيبينا
يميتنا الحزنُ تفكيراً بحاضرنا ويبعث الغدُ آمالاً فيُحيينا

فكيف نبطل محاولات شياطين الإنس والجن الرامية إلى النيل من إرادة المقاومة في الأمة .. وإلى زرع اليأس والاستسلام ؟

فأجاب الشيخ محمد التوشجاني مبيناً :

◆ يسعى أهل الباطل والمعتدون الظالمون إلى تحطيم عزيمة الأخيار وزرع الهزيمة النفسية في القلوب ، تمهيداً لاستسلام المظلومين وأصحاب الحق . فالحرب النفسية أشد فتكاً من القتال بالسلاح .

◆ لذلك حرم الإسلام اليأس والقنوط ، لأنهما يصرفان عن العمل والسعي البصير للخروج من حالة الضعف والهوان .

◆ ويجب أن يهتم الدعاة بهذا الأمر ، وأن يكونوا قدوة في معارك الأمة المصيرية .

◆ وينبغي أن تبقى فلسطين محل الاهتمام الأول في فكر وحياة المسلمين ، إلى أن تتحرر من سيطرة المحتلين ، وبانتصار الأمة في هذا الميدان تعلن هزيمة المشروع الغربي- الصهيوني الموجه لأمة الإسلام .

ﷺ ﷺ ﷺ

● **س٤** : هناك سؤال يلح على كثيرين ويتعلق بمستقبل انتفاضة الأقصى ؟ فبعض السائلين يرى أن الانتفاضة ردة فعل عاطفية ، وآخرون يرون أن مستقبل الانتفاضة الحالية لن يكون أفضل من المصير الذي آلت إليه الانتفاضة السابقة .. التي انتهت باتفاق اوسلو !! .

فكان جواب الدكتور كمال هلباوي على النحو الآتي :

✧ تأتي " الانتفاضة " عادة في ظروف تعاني فيها الأمة من الركود والاستسلام ، أو حين يشعر الناس بظلم فظيع .. فيكون دور الانتفاضة تذكير الأمة بثوابتها التي لا يجوز التفريط فيها ، وتعيد الأمل

بالنهوض والعزة إلى النفوس

✧ إن الانتفاضة تدفع إلى " التأمل والمراجعة " حتى على المستوى الفردي .. فعندما نرى أمهات مؤمنات صابرات ، مثل أم يحيى عياش ، وأم أبي هنود ، وأم محمد الدرة .. فإننا نراجع أنفسنا ونقارنها بعطاء الأمهات الصابرات في خندق المواجهة المصيرية . وهذه المراجعة سيكون لها آثار آنية وأخرى مستقبلية ، وقد أدت انتفاضة الأقصى هذا الدور .. والدليل عليه هذا التجاوب الكبير على المستوى الشعبي داخل وخارج العالم الإسلامي .

✧ فالانتفاضات تؤدي دوراً إيجابياً ، وقد تنتهي بفعل الضغوط والتطويق ، وإذا وقع هذا فإنه لا يعني أن أثرها قد ضاع .. وكل انتفاضة لابد أن تتوقف يوماً ما .. لأنها صورة من صور المواجهة الحادة .

✧ ونحن لا نزعم أن الانتفاضة هي الجيش الذي سيحرر فلسطين .. ولكنها حركت العزائم النائمة وأثارت الحمية .. وأنارت بالتضحيات الجسام ليل الأمة الحالك ..

℘ ℘ ℘

● **س٥** : يسأل عدد من الإخوة عن " التحريض " وثواب المحرضين ؟ وعن قيمة " الكلمة " في الجهاد ؟ وهناك سؤال عن لقاءات الحوار التي يدعو إليها يهود في هذه الظروف في أوروبا .. هل الذين يحاورونهم خونة ؟

فأجاب الشيخ محمد التوشجاني مؤكداً على المعاني الآتية :

◆ يقصد بالتحريض : تحميس الناس ودعوتهم إلى البذل والعطاء ؛ فالمقبل يزداد إقبالاً ، والمتردد يخرج من حالة التردد ، ولهذا أمر الله نبيه ﷺ بالتحريض : { **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضْ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ** ... } [الأنفال : ٦٥] فعلى القادة السياسيين ، وأصحاب الفكر والبيان أن يقوموا بدور " المحرض " وفي هؤلاء يصح قول القائل : « رُبَّ محرضٍ خير من ألف مقاتل » .

◆ وللكلمة دور أساسي في المواجهة مع الأعداء المغيرين ، ففي الحديث : « **جاهدوا المشركين**

بأموالكم ، وأنفسكم ، وألسنتكم » . وكان رسول الله ﷺ يحسن استخدام الوسائل الإعلامية ، ويقول لحسان بن ثابت : « **اهجُهم وروح القدس معك** » ، ولولا الدعوة بالبيان لما استجاب للحق من استجاب . ومن هنا نفهم قوله تعالى : { ... **وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا** } [الفرقان : ٥٢] أي القرآن : أن الجهاد مفروض باستمرار - قبل الهجرة وبعدها - وإنما أُذن بالقتال حين تهيأت شروطه ، وهو صورة من صور الجهاد .

◆ أما الحوار مع اليهود في أوروبا ؟ فحكمه حكم كل عمل يقوم به المسلم ، إذ عليه أن يسأل : لِمَ أفعل هذا ؟ وكيف ؟ ومتى ؟ . فإن كان الجواب يفرض الحوار أو يراه حسناً مفيداً .. فلنقدم عليه ، وإذا كان المقصود من الحوار تفريغ الموقف الإسلامي من معانيه المحركة للفكر والجهود .. فبئس الحوار . وأما اتهام من يفعل ذلك مخطئاً في التقدير .. فلا يصح أن ننعته بألقاب " الخيانة " ونحو ذلك .

ℰ ℰ ℰ

● **س٦** : هناك مقولة منتشرة في الساحة الإسلامية ، ومفادها : إن التيار الإسلامي هو وقود الأزمات ، وعليه تقع أعظم التضحيات ، ثم يقطف غيره الثمار كما وقع في الثورة الجزائرية ، وفي الانتفاضة السابقة ، فهل سيكون مصير انتفاضة الأقصى كغيرها ؟!

تولى الدكتور كمال الهلباوي الجواب موضحاً :

✧ يجب أن نفرق بين واجب الأفراد والجماعات والشعوب في مقاومة المعتدين وتحرير أوطانهم ، وبين واجب إقامة الدولة : بمعنى أننا قد نجد أنفسنا في مواجهة مع عدو مغير ، وهذا يفرض علينا العمل على طرده سواء كنا في مجتمع أكثريته مسلمة أم غير مسلمة ، ويطالبنا بالتعاون مع القوى الوطنية في دفع المعتدين .

✧ أما واجب إقامة الدولة الإسلامية .. فطريقه ليس طريق الجهاد من أجل تحرير الأوطان من سيطرة الأعداء .. وهذا ما كنا نقوله لإخواننا المجاهدين في أفغانستان ، لأننا قد نملك القدرة على دحر جيوش الأعداء ، ولكننا لسنا مؤهلين لتجسيد دولة الإسلام .. فماذا نصنع ؟ نقوم بواجب التحرير ، ونعمل لإقامة الدولة بأسلوب مناسب .. وأرجو أن يكون هذا الأمر واضحاً في عقول أبناء التيار الإسلامي .

✧ ومن ظن أن انتفاضة الأقصى الحالية ستقيم دولة الإسلام .. فإنه واهم .

℘ ℘ ℘

● **س٦** : يردد رواد الحركة الإسلامية المعاصرة .. وهم يقودون ثورة الحق في مواجهة الباطل .. معاني عبر عنها الأستاذ عصام العطار شعراً فقال :

يا ثورة الحق ما أحلى مرائينا الغيبُ يبدو لنا نصراً وتمكينا
وباسمُ الغد عبر الأفق نلمحهُ يهفو لملقاتنا غاراً ونسرينا
وقادمُ النصر نحياه ونلمسهُ اللهُ أكَّده فالنصر آتينا
وقد يكون بنا والعُمر منفســـحٌ وقــد يكــون بأجيـــال توالينـــا

فالأمل بالنصر كبير كبير .. ولكن ماذا يجب علينا فعله حتى نحافظ على هذا الأمل وهاجاً مضيئاً ؟

اتجه الدكتور كمال هلباوي إلى القول :

هذا السؤال يدفعنا إلى الحديث عن خطة عملنا نحن المسلمين في الغرب ، وأركز هنا على ثلاثة محاور :

✧ الأول : **الغرب** : وبخاصة أمريكا التي آلت إليها معظم الخيوط المؤثرة عالمياً ، إذ ينبغي أن نرتفع في صيغة الخطاب وأساليبه ووسائله إلى مستوى يسمح لنا بالاتصال الطبيعي مع مؤسسات المجتمع الغربي وأصحاب القرار فيه ، إضافة إلى التوعية العامة بحقوق المسلمين .

✧ الثاني : **الحكام العرب** : وننصح بعدم الدخول مع الأنظمة العربية في صراع ، لأن هذا ما يريده الأعداء ، ونلفت النظر إلى ضرورة محاورة الحكام إلى أن يسمحوا بالتحرك الشعبي والمقاومة بعيداً عن الحرب النظامية .

✧ الثالث : **أبناء فلسطين** : إذ يجب على المسلمين في كل مكان تقديم أقصى ما يستطيعون من الدعم المادي والمعنوي ، ومن ذلك مساعدة أبناء فلسطين على الحوار والتفاهم ، والدعوة إلى جمع جهودهم ، والمناداة بعودة قياداتهم المبعدة ، وبخاصة قادة حماس ، وبالإفراج عن المعتقلين في سجون

السلطة أو السجون العربية !! .

وأضاف الشيخ محمد التوشجاني داعياً إلى :

◆ وجوب التفنن في تعريف أجيال المسلمين الناشئة في الغرب بالقضايا الإسلامية العادلة : من خلال التعليم ، والإعلام ، واللقاءات التكوينية ..

◆ تربية أبناء المسلمين على رفض " الذوبان " وعلى التمسك بانتمائهم الإسلامي ، فهذا يشكل قاعدة الاهتمام بقضايا الأمة المسلمة .

◆ الاستفادة من الحالات الحادة - كانتفاضة الأقصى وحرب الشيشان - في غرس ورعاية الاهتمام بقضايا الحق والعدل .

◆ بناء موقف المقاطعة تجاه المعتدين الظالمين (أمريكا ، الصهاينة ، ..) ولعل مقاطعة السلع أقل ما يجب القيام به ، وينبغي ألا يكون هذا الموقف انفعالياً مؤقتاً

◆ تنظيم نشاطات لإحياء الاهتمام بالقضايا الساخنة والمصيرية (يوم القدس ، يوم الشيشان ...) .

وهذا الذي ندعو إليه لن يحققه إلا الذين يحافظون على النفسية الجهادية في جميع مراحل عمرهم ، والمقصود بذلك : الانحياز إلى إحقاق الحق ، والاستعداد لمنازلة المعتدين في الميادين كافة .